الازياء في جنوب العراق

وتتميز الأزياء الشعبية في جنوب العراق بتواصلها مع الموروث الفلكلوري الذي منحها صورة جمالية أنيقة امتد تأثيرها إلى معظم شعوب دول الجوار في منطقة الخليج العربي، ويمتد تاريخ بعض الأزياء إلى حقب قريبة من بزوغ الحضارة الإسلامية في منطقة البصرة، وتؤكد مصادر التراث الشعبي ان من ابرز الأزياء النسائية الشعبية التي ظهرت في البصرة ومنها انتشر في بقية المناطق هو زي الهاشمي وهو عبارة عن ثوب من قماش رقيق جداً وواسع الأكمام والأطراف يرتدى فوق الزبون، اللون الغالب يكون من الأسود ويحلى بوحدات زخرفية تعمل من خيوط الذهب وبتشكيلات مستلهمة من عناصر نباتية غالبا، والمادة الأولية في نسيج هذا الرداء تكون من الحرير الطبيعي ويرتدى في مناسبات الأعياد والاحتفالات ويقال انه كان من ثياب نسوة بني هاشم الخاصة، وينسب اليهن ثم شاع استعماله بعد ذلك ويقال انه من اصل هندي، وهناك «السعدونية» ــ الزي الرجالي الشائع في الكثير من المناطق الجنوبية، وهو عبارة عن عباءة مزينة بخطوط عريضة غالباً من الصوف ويرتديها الرجال وخاصة في محافظة العمارة، يلاحظ فيه اختلاف نوعية العقال والحزام المسمى

واللباس الشائع عند أهل العشائر العراقية يكون من قماش رقيق لماع او يكون من الصوف الابيض ويطرز في الواجهة والأكمام ويعرف بـــ «الزبون» الذي يرتديه الفلاحون.

وان من الأزياء الشعبية في الجنوب الكوفية والغترة والعقال، ويكون قماشها مصنوعا من القطن الخفيف ومنقوشا على شكل مربعات صغيرة باللونين الأبيض والأسود او الأبيض والأحمر او تكون بيضاء.

الازياء في شمال العراق

إن ما يميز شمال العراق التنوع الديموغرافي والشرائح المختلفة للسكان، خاصة العرقي والقومي وحتى الديني، إن هذا التنوع انعكس على ملابس السكان، فتنوعت أزياؤهم وألوانها وتعددت مصادر أقمشتها.

الموصل كبرى مدن محافظة نينوى التي تعكس هذا التنوع الديموغرافي، فالأزياء الشعبية فيها الآن هي الأزياء السائدة في فترة الثلاثينات والأربعينات القرن الماضي قبل أن تدخل الأزياء الغربية.

الفنان التشكيلي طلال صفاوي العبيدي مصمم أزياء المتحف الشعبي في جامعة الموصل وأستاذ في أكاديمية الفنون الجميلة، تحدث عن أهم ميزات الزي الشعبي قائلا «إن لكل شريحة زيها الذي يميزها عن الأخرى، فزي المسلمين داخل الموصل له ما يميزه عن زي المسيحيين واليهود، فغالبية رجال الموصل يضعون في رأسهم العمامة والعقال، وجاءت متأخرة السدارة، والتي تدعى بالفيصلية، وكان رجال الموصل يضعون فوق رؤوسهم أغطية مثل الشماغ أو الغترة».

وهناك ما يزيد عن عشرة أنواع من أغطية الرأس للرجال «كبع الطفل»، و«الكليته» و«الطاقية (عرقجين)» و«العقال» و«الغترة» و«الشماغ» و«الجراوية» و«الكشيدة» وغيرها، ولكل غطاء قماشه الخاص وطريقة صنعه وارتدائه وحتى الشريحة المعينة التي ترتديه.

ويضيف العبيدي ان تغطية الرأس عند النساء وحتى الرجال شيء مهم، وهناك سابقا إذا تقاتل رجلان وأوقع احدهما عقال الآخر فيقول هذا فرعني (كلمة موصلية تعني كشف رأسي) فينزع خنجره ويضرب الرجل الذي أوقع عقاله لأنه كان ذا قيمة كبيرة.

ويجمع علماء المسلمين في شمال العراق حيث يجمع غالبية السكان من هذه الديانة زي واحد، حيث يضعون العمامة (تتكون من سدارة حمراء غالبا وتلف عليها غترة بيضاء) على الرأس، أو يضعون الغترة مباشرة وتتدلى على الكتفين، ويرتدون الجبة التي تكون من قماش جيد وبألوان ليست صارخة داكنة أو فاتحة حسب الفصل شتاء أو الصيف ومفتوحة من الأمام من الرقبة وحتى أخمص القدمين.

ويضيف العبيدي «أغلبية رجال الموصل يرتدون الزبون والدمير (عبارة عن سترة لها فصال وشكل خاص، ولها كم طويل وهي زي موصلي خاص)، وأنواع الدمير مختلفة في خياطتها وأقمشتها، فالأغنياء لهم ألبستهم الخاصة التي تختلف عن ملابس الفقراء، وملابس العمل تكون هي الأخرى مختلفة».

وتلعب المكانة الاجتماعية دورا أساسيا في الملابس داخل الموصل وخارجها، وهنالك العقال الذي يسمى المضبب، المنتشر في السعودية، ويكون مضلعا من

أربعة أضلاع أو أكثر وتكون خيوطه من الحرير.

إن الزبون يكون من نفس لون الدمير ويلبس تحته قميص قد يقارب أو يعاكس لون الزبون ويلبس فوقه عباءة الجوخ التي يجلب قماشها من مدينة كشمير الهندية وهي من الألبسة الثقيلة التي كان يرتديها الأثرياء.

ولم يقتصر الزي الشعبي على قطعة واحدة من الملابس، فيمكن ارتداء العباءة (الخاجية) في الصيف كون قماشها رقيقا جدا، وهناك «خاجية» ترتديها النساء. وهناك أحزمة تصنع من الغتر (قماش خفيف ابيض أو لون أخر مربع الشكل).

أما المهن الموصلية فلكل مهنة لها ملابسها الخاصة، فالمقطنة كان يرتديها المزارعون وكذلك الحدادون لتقيهم درجات الحرارة العالية المباشرة، وترى في الموصل أن الأغنياء يرتدون الطربوش لأنه يدل على الثراء.

وفي الوقت الحالي اندثر الزبون واستعيض عنه بالدشداشة، ومنها الصيفية القطنية البيضاء والشتوية ذات ألوان داكنة وسميكة، وقد تكون ذات قماش فاخر وهو الجوخ، والدشاديش منها ذات الياقة المفتوحة التي يرتديها المسلمون والياقة المدورة يرتديها المسيحيون.

وأما الأقمشة التي تخاط منها ملابس الرجال، منها (دق البتة) بالوانها المختلفة، وهناك أقمشة أخرى تأتي من الهند وتسمى «الحاج حسن» أو قماش ثقيل يدعى الكجرات، ومن الشام ومن مصادر أخرى كثيرة، وكانت الألبسة تؤخذ بمذاق وقيمة وتناسب الحالة الاجتماعية في الموصل آنذاك.

أما النساء الموصليات فقد عرفن بملابسهن الزاهية والجميلة، التي تبرز أنوثتهن داخل المنزل وتغطي جميع أجزاء الجسد، وهناك ما يقرب من تسعة أنواع من غطاء الرأس للنساء، وهي الصمادة والملفع والعصابة والمكرونة والجرغد والشكفة والايشار.

«كانت الموصليات يرتدين في المنزل الكيش والملفع أو اليازمة وحسب عمرهن، وعندما تخرج المرأة ترتدي الايزار وهو من قماش سميك ومخطط وله لون احمر ويغطي جسم المرأة من الرأس إلى الورك».

بعض الأغطية تكون سادة وبعضها تكون منقوشة بخيوط بألوان زاهية والبعض يكون له إطار مزركش الغالب يكون لونه ذهبيا، و«كانت النساء يرتدين العباءة أيضا عندما يخرجن وأخريات يضعن البوشية (قماش اسود خفيف) على الوجه».

وفي الملابس النسائية يقول العبيدي «النساء الموصليات الثريات يرتدين الألبسة ذات الحرير الطبيعي المزخرف بأشكال وباقات من الورود وألوان جميلة جدا

وكانت أيضا تأتي من الشام والهند، وهناك أنواع كثيرة من الأقمشة التي ترتديها النساء، منها الحسون ودق البتة، أما أجمل الفصالات فكان الجطالة، بحيث أن الأكمام قد تصل من كتف المرأة إلى الأرض بزخرفة وخياطة جميلة جدا».

وألوان الملابس زاهية للشابات، أما لكبيرات السن فكانت الألوان داكنة، والألوان الرئيسية عند النساء القرويات كانت الأحمر الصارخ أو الأخضر، وكانت المرأة ترتدي ثوبا طويلا من عدة ألوان وخاصة في مواسم الأعياد، وتعد أقمشتها ذات أسعار رخيصة وذات صناعة محلية ومن قماش «الجويت». وترتدي الشابات القرويات عادة ملابس ذات ألوان صارخة جدا.

وفي سنجار التي يقطنها معتنقو الديانة اليزيدية بشكل كبير، فيرتدي الرجل الطاقية على رأسه، والشالة من الصوف ودشداشة ذات شمالات طويلة ولا يرتدي الياقة المدورة لأنها تنافي طقوسه، بل يرتدي الياقة المربعة، ورجل الدين يرتدوي ألبسة خاصة التي اغلبها من الصوف، أما العرب المسلمون في سنجار فتشبه ملابسهم ملابس القرويين الذي يحيطون في الموصل.

وفي شمال غربي الموصل حيث يكثر المسيحيون، وخاصة في تلكيف وبعشيقة، فإن أغطية الرأس فيها من العجائب، فهناك الطاقية توضع عليها قطع من الفضة بأعداد كبيرة وتخيط بدقة ومن الاشاربات الحريرية بما لا يقل عن سبعة ألوان وتكون على شكل دائرة، وهناك الفستان الملون وفوقه الجكارة التي تكون على كتف المرأة، وأغلبية النساء من المسيحيات يتحلين بأقراط من الفضة لان الفقر يشمل هذه النواحي، أما داخل الموصل فالحلي الرئيسية هي الذهب.

الازياء في كردستان

أما في إقليم كردستان فتعتبر الأزياء الشعبية الكردية وبالذات ملابس النساء من الأزياء الجميلة والمثيرة والمدهشة، وتثير إعجاب كل من يشاهدها، وتم تشخيص العديد من الأنواع للأزياء الكردية النسائية والرجالية من مختلف مناطق كردستان غير ان صفاتها العامة متشابهة وان اختلفت الشرائح الطبقية.

ويحرص الأكراد من خلال قطاعات واسعة منهم وحتى بعض ساستهم وقادتهم على التمسك بارتداء الزي الكردي الشعبي، ونرى مسعود بارزاني رئيس إقليم كردستان يظهر غالبا وهو مرتديا الزي الكردي، ويمارس الأكراد حياكة ونسج الملابس بأنفسهم، ويوضح العبيدي في هذا المجال ان الأكراد الرجال

يضعون العرقجين فوق الرأس ويلف فوق لفة كبيرة من الشماغ والذي يميز من خلاله الكردي عن اليزيدي الذي يقلب الشماغ الأحمر، أما الكردي البارزاني فانه يلبس الشماغ على وجهه الصحيح، ويختلف الأكراد من السليمانية عن اربيل ودهوك عن نينوى في ملابسهم، من حيث العرقجين وزخرفته والمادة الحريرية وأنواع اليشامغ وألوانها وطريقة وضع اللفة من الشماغ فوقه، ويشتهر الأكراد بالسروال الفضفاض المعروف، والقميص في بعض الأحيان، في الصيف يرتدون الملابس من قطعة واحدة بقماش خفيف تدعى (شل وشبك)، وفي فصل الشتاء يرتدون جاكيتا من الكجا (الصوف المضغوط السميك).

ويميز الكردي عن العربي الحزام الذي يتكون من عدة طيات ويكون عريضا جدا وتلعب جغرافية المنطقة دورا في ارتداء هذا الحزام حول وسط الجسم، ويختلف السروال الكردي من منطقة إلى أخرى

وتكون الألبسة النسائية الكردية من ثوب طويل جدا وبألوان رئيسية اغلبها صارخة، وتتحزم بحزام من نفس اللون أو معاكس ويتدلى القماش من وسط الجسم فوق الحزام، وتضع على رأسها مجموعة الألوان من عدة قطع تدعى اليازمات، وهذه الألبسة عند الشابات وتختلف عند كبار السن.

أما الان فان معظم الأزياء الرجالية والنسائية في هذه المناطق خاصة في المدن قد انحسرت بعد التطور وسرعة انتقال الموضة.